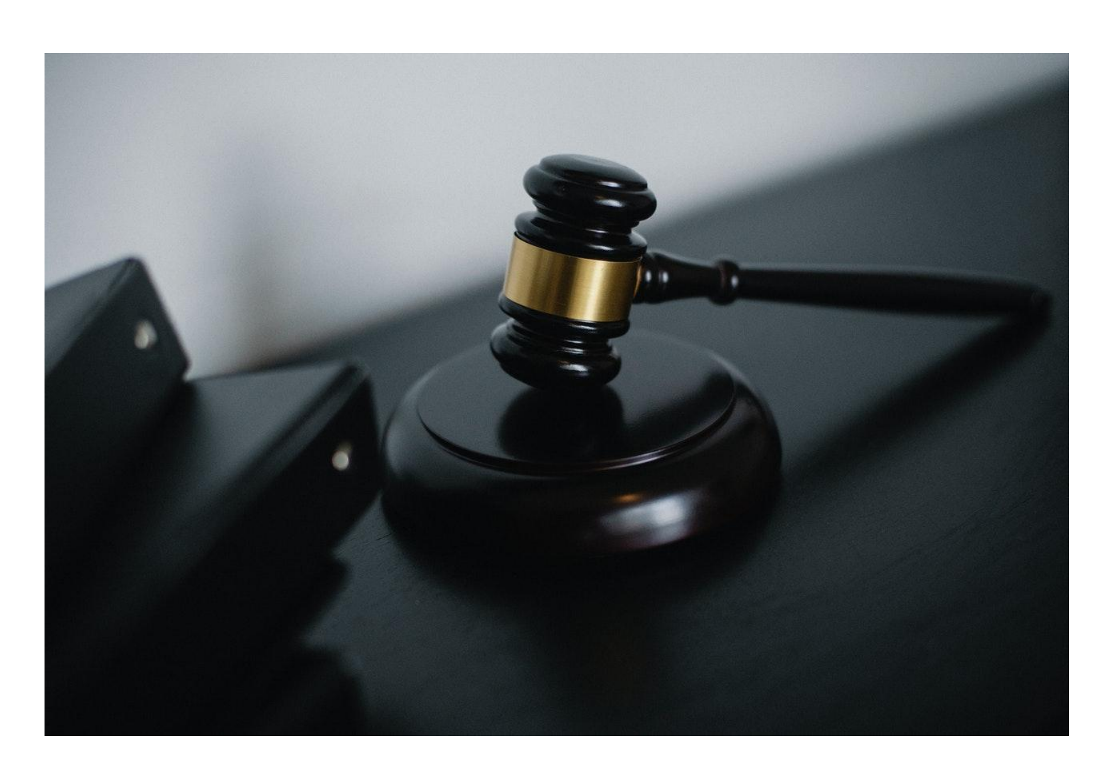
الكبراء والمستضعفون ...

كتبه صهيب الرومي بتاريخ الأثنين ١٤ رمضان ١٤٤٢



يقول الله - جل وعلا -:

(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) [سبأ - 31].

اتهامات تتراشق، ولوائم تتدافق، ندامة تُسَرّ وحسرات تُفـَجّر، صورة يرسمها القرآن الكريم للحوار المرير الدائر بين "الطرفين الخاسرين" ...

الطائفة المستضعفة من المُقَلدة (القطيع) ... التي "رضخت " للهوان والتبعية والذّل، بل ورضيت به وتابعت عليه ... رغم وصف القرآن لها بالاستضعاف ...

فالاستضعاف لا يبرر المتابعة ...

ولا يقيم حجة على الرضا ...

الاستضعاف سببٌ لا نتيجة ...

سببٌ في استمرار القهر والظلم والتكبّر, لا نتيجة له ...

وبين الطائفة المستكبرة الطاغية المتسلطة, و التي لا ترى صالح إلا صالحها ولا باطل إلا مُعارضها, ولا حقّ إلا ما يرفعها في الدنيا على أعناق القطيع .

تُنحى الطائفة المستضعفة, التي رضيت وتابعت واستمرأت ... "باللائمة على أسيادها" من الطائفة الحاكمة المستكبرة, أنْ أنتم سببُ ما آل إليه حالنا في الآخرة, ولولا أنتم , لما كنا على أبواب جهنم راسفين في الغلّ.

(قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ) [سبأ - 32].

لكنّ الطائفة الحاكمة المستكبرة "لا تقبل" هذا الاتهام ... بل تردّه على الطائفة المستضعفة "ردّاً غير كريم" ...

قالوا: بل إنّ بذرة الإجرام كانت مزروعة في نفوسكم, ونحن لم نطلب منكم الخروج عن شرع اللّه - تعالى -, , وتابعتم ما جعلناه خلافاً لما فرض اللّه شرعاً محكّماً فيما بينكم وبين بعض وفيما يخصكم, فلا تلومونا ولوموا أنفسكم.

(وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً) ...

وتتبين للطائفة المستضعفة ما لم يتبين لها في الدنيا, فتصيح محتجة على الطائفة الحاكمة المستكبرة, أنْ أنتم من تابع علينا بالأوامر المخالفة لشرع اللّه , ووضعتم من رفعه اللّه بالعلم والتقوى, ورفعتم من وضعه اللّه بالفجور والفساد.

نصّبتم علينا شيوخاّ و أمراء شروْا الدنيا بالآخرة ولبّسوا الحق بالباطل, وعزلتم أفاضل لا يريدون إلا الإصلاح في الأرض, أنتم سبب ما نحن فيه وما نحن إلا ضحية مظلومة, فيا حسرة الحسرات ويا ندامة على ما فات!

(وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا)

لكن اللّه يحسم هذا الجدل العقيم, فيظهر لكلا الطائفتين ما أعدّ لهم من العذاب, وقّيدت الأعناق بالأغلال وذهبت حرية الاختيار التي كانت مكفولة لهم في الدنيا.

(هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [سبأ - 33].

وقد يظن الظانّ أنّ هذا ظلمٌ للطائفة المستَضْعَفة ...

ولكن اللّه - سبحانه - يبين أن النفس لا تُعاقب إلا بما جنت يداها وبما كسبت برضاها,

فالطائفة الراضية المستكينة المتابعة قد "عملت" ما تستحق به هذا العذاب ... وعملها هنا هو سكوتها على الباطل وخضوعها ومتابعتها له ورضاها به.

اللهم لا تجعلنا من هاتين الطائفتين ... بل من "الطائفة الثالثة" التي عرفتك فأحبتك وخضعت لك وحدك.